

المصباح

١٣١٥

• مصر في يوم السبت ١٩ ربيع الثاني سنة ١٣١٧ الموافق ٢٦ أغسطس (آب) - سنة ١٨٩٩

كلمة في الحجاب

من علامات الحياة الاجتماعية في الامة اهتمام أفرادها بما يقال ويكتب في شؤونها بحيث يرتاحون مما يرونه حسناً ونافعاً ويسعون في إيجاده أو انماه ان كان موجوداً وينفرون ممتعضين مما يرونه قبيحاً ومضراً ويجتهدون في ازالته واعدامه او التوقي منه اذا كان مسدوماً يتوقع حدوثه . ولقد كنا نكتب في انتقاء العادات المضرة التي لوّنت بلون الدين والبدع القبيحة التي صبغت بصبغة الاسلام وأحب شيء الينا ان نقابل بالتأييد او التنفيذ وانما كنا نسر بالتنفيذ لانه يدل على وجود رفق من الحياة المعنوية في الامة فنندبه من قبح لها ما تراه حسناً ولأن من يفند الحق لا اعتقاده انه باطل لا يلبث ان يؤيده متى تبين له انه الحق وليس ظهور الحقيقة على طالبها بيميد لم نر في مكتوب المصر كلاماً اثر في نفوس امتنا كالذي جاء في كتاب (نحرير المرأة) من بحث الحجاب . مسألة أظقت اللسان بالكلام . وأجرت في ميادين الجرائد جياذ الاقلام وشغلت السامر والنادي . وتحدث بها الملاح والحادي . وقد قلنا فيها كلمة عند تقرير الكتاب ونقول الآن كلمة أخرى

غرض صاحب هذا الكتاب لا يمكن ان ينكره عليه عاقل عرف مكان
أمة من الأمم ووقف على حاجاتها وما يعيد اليها حياتها ألا وهو تربية المرأة
لتكون كما قال انساناً يعقل ويريد وتعليمها مقداراً من العلوم الدينية والعقلية
والادبية يمكنها به ادارة منزلها ويعد (عقلها لقبول الآراء السليمة وطرح
الخرافات والباطيل التي تفنك بعقول النساء) وأخذها بالفضائل التي
يكون لها أثر في سعادة المنزل ثم في سعادة الأمة. ومن أهداها ان يكون بينها
وبين الرجل مشاكلة ومشابهة في الصفات النفسية والمدارك العقلية فتكون
بين الزوجين منها محبة حقيقية. محبة يكون منها نصيب العقل والنفس. لا يبعد من
نصيب الوجدان والحس. وان امرأة لا تعرف لها شيئاً من شؤون البشر الا انها
خلقت لان تكون فراشاً بعيدة من ان تحب او تحب محبة حقيقية من انسان ذي عقل
وفضيلة ويستحيل ان يتربى ولدها ويتنظم أمر منزلها فتكون عاملة في سعادة وطنها
وترقية أمتها ويعتقد صاحب الكتاب ان هذه التربية التي لا بد منها تتوقف في حصولها
أو في كمالها على مكاملة النساء اللائي يتعلمن ويتربين للرجال وهما راجعتن لهم
في الأقوال ومبادئهم ايام الآراء. وقد علم ان اعتقاد قومه في الحجاب وعادة
أهل الطبقة العليا والوسطى من أهل المدن فيه (وهم الذين يرجى منهم المبادرة
الى التربية والتعليم) مانع من قبول ما تتوقف عليه التربية والتعليم في
اعتقاده ولذلك توسع في الكلام على الحجاب بما انتقدناه عليه في التقرير
وحاول ازالة الاعتقاد بما أورده من نصوص بعض الأئمة في جواز النظر الى
الوجه والكفين من المرأة واجتماعها بالرجال في غير خلوة بين أجنبي وأجنبية فقام
الناس يحاربونه في هذه المسئلة النظرية بسلاح جماهير العلماء الذين رجحوا
وجوب ستر الوجه والكفين الا في احوال مستثناة وردت في الشرع

كالأحرام والشهادة والتطيب . وملخص ما يمكن ان يجيب به هؤلاء ان
المسئلة خلافية وان الاولى ان نرجح مافيه المصلحة والمنفعة ولا شك ان
المصلحة هي في ما يمكن معه التربية والتعليم المحتاجة اليها الأمة في نهوضها
من الخضيض التي هي فيه فان سلم له المارضون بانها يتوقفان على كشف
الوجه ومكالمة الرجال فلا مندوحة عن التسليم بترجيح القول بالكشف
والمكالمة أو تقليد القائمين به او تخريمه على قاعدة (يرتكب اخف الضررين)
اذ لا ريب ان ضرر شقاء الأمة وتقدم سائر الامم عليها لا يدانيه ضرر احتمال
وقوع الفتنة بكشف الوجه من بعض الناس . واذا لم يسلموا له بالتوقف
فليكن البحث معه في بيان عدم التوقف لافي ايراد نصوص اللغويين
والمفسرين التي لا ينكرها كما لا ينكر من أوردوها عليه ما جاء هو به من
النصوص المعارضة لها وانما يتكلمون في الترجيح

والذي نراه نحن في المسئلة ان التربية والتعليم لا يتوقفان على كشف الوجه ولكنهما
يتوقفان في كمالهما على مكالمة الرجال . ومبادئهن الافكار والاقوال . وربما كان في
الاقارب . غنية عن الاجانب . والنظر في المكالمة من ثلاثة وجوه (١) الواقع في الوجود
(٢) . وقصها من نفوس الأمة (٣) حكم الشرع . أما الاول فمن المشاهد ان
نحو تسعين في المئة من المسلمات يكالمن الرجال جهراً ويشاركنهم في اعمالهم
وهن نساء الفلاحين والاعراب وصنوف الفقراء الذين يشتغلون بالكسب
ويقومون في المساكن التي لا تيسر معها الحجاب فهؤلاء قد حكمت عليهن
بشهن (اي الوسط الذي يمشن فيه) بذلك وكلهن او جلهن لا يسترن
الوجوه أيضاً . وأما نساء المدن المحتجيات وقد رناهن بالعرش فهن تسع
وتسعون في المئة (تقريباً) يجانن في الأسواق ويشترين من الرجال ما يحتجن

اليه ويراجعهم في القول ويتظلمن لرجال الحكم في المحاكم والدواوين وفي البيوت فالمرأة منهن تكلم الرجال في كل مكان ولو منفرداً الا في مشهد زوجها ووليها ولا اطيل في هذا المقام الشرح لان علم القراء به ربما كان أوسع من علمي . وواحدة منهن في المئة - أو واحدة في الالف من مجموع المسلمين - لا تخاطب من الرجال الا المحارم والخدم وبعض الاقربين من غيرهم اذا كانوا معها في دار واحدة كما هو الشأن في اكثر الأسر (العائلات) التي لها شأن وأنت ترى ان هذا الواقع غير مطابق لما يعتقدده غالب المسلمين في الحجاب ولكنه وقع بحكم الزمان والمكان واحوال المعيشة فكان السبب فيه طبيعياً اجتماعياً فرضي به الناس من غير تكبير . وأما موقع مكالمة النساء للرجال من نفوس الامة فلا شك ان كل رجل اعتاد اهله الحجاب تفعل روحه ويهيج وجدانه اذا هو تصور في نفسه دخول امرأته او بنته او اخته مجلسه مع اصدقائه وزائريه ومحادثتها له وهو مهمهم او مشاركتهم في الحديث وان كانت متتعبة او متبرقة وربما كان يعلم او يأذن لها بنزول السوق وابتياح اللبوس والملي وغير ذلك . فهل ذلك الانفعال والتهيج من تصور محادثة اهله للرجال الكاملة في مشهده وسماحه لمن او تسامحه معهم بشراء ادوات الزينة من الرجال بانفرادهم متولد من الدين ام من العادة ؟ وهل الرد على قاسم بك امين والتنبيد بكتابه (تحرير المرأة) من الانتصار للدين ام من الانتصار للهوى وحكم الوجدان ؟ . وأما الامر الثالث وهو حكم الشرع في هذه المكالمة فالمعروف ان الشرع انما حرم الخلوة بالمرأة الابينية واخبار الصدر الاول مستفيضة بمكالمة النساء للرجال وحديثهن معهم في الملاء دون الخلوة . وكفاك ان نساء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم - وهن اللاتي ادرن بالمبالغة

في الحجاب - يكن يحدثن الرجال حتى ان السيدة عائشة كانت قائدة عسكر ومدبرة له في وقعة الجمل المعروفة وما اخال ان مكابراً يقول انها لم تكن تكلم احداً منهم الا اذا محرم

وبالحتام نقول ان هذه المسئلة من المسائل الاجتماعية التي لا يمكن ان تتغير الا بتغير احوال الامة الاجتماعية واننا نرى حركة التغيير تسوق الطبقة العليا وما يليها من الامة الى محاكاة الا فرنج في اساليب معيشتهم وتمذنبهم وان الحجاب ينهتك فيها بالتدريج فيعود الى تبدل بعيد من الدين ومذاهبه وقد دبت مبادئ هذا التفرنج الى بيوت الشيوخ ورجال الدين فظهرت بوادره في ازياء نسائهم ولا ندري ماذا تكون او اخره - هذا سير طبيعي لا بد ان يباغ مدد غاية حده الا اذا حولت مجاريه تحويلا طبيعيا فكان منجمه الشريعة الاسلامية وقراره مصلحة الامة ومنفعتها وهذا ما يطالبه كل ذي غيرة على ملته وأمنه وما كتب فيه احد مثلاً كتب الفاضل قاسم بك امين فلنساعده في عمله ولا يصدنا عن ذلك مخالفته لنا في بعض الجزئيات واعتقادنا خطاه في بعض المسائل فالمصمة انما هي لكتاب الله تعالى وحده (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً)

﴿ خاتمة ﴾

﴿ كتاب تحرير المرأة ﴾

تبين للقارئ مما سبق ان ما يريد ادخاله من الاصلاح في حالة النساء ينقسم الى قسمين - قسم يختص بالمعادات وطرق المعاملة والتربية - والقسم الثاني يتعلق بدعوة اهل النظر في الشريعة الاسلامية والعارفين باحكامها الى مراعاة حاجات الامة الاسلامية وضرورتها فيما يختص بالنساء وان لا يقفوا عند